

اشكالية الهوية في المجتمع العراقي

أ.م.د. أفرح جاسم محمد
كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية

الخلاصة:

ان الصورة الواضحة لمشهد المجتمع العراقي اليوم هي محصلة لأسباب قد اخذت مأخذها من بنية وتفاعلات وأواصر ونسيج هذا المجتمع بأكمله ، فما نشهده ونعانيه حالياً هو تبعثر قيمي واغتراب واستلاب وتفزيم ثقافي عملت جميع الازمات المتتالية على هذا المجتمع الى احواله الى بقايا مجتمع ان لم نكن نبالغ يحاول النهوض من جديد .

فكيف نتوقع نهوض مجتمع نهضة نوعية وهو مثقلاً بأمراض مجتمعية لحقت به وعملت على تهديم الاساسات البنوية التي من المفترض ان يعتمدها كقاعدة للانطلاق والتطور والبناء ؟
ورغم ما مر به المجتمع العراقي من محن كثيرة المت به وبنيجه الاجتماعي وبعثرت اسسه وصدعت قيمه الى حد ما ، فلم يأت ذلك الا من عدة مسببات ساهم تصدع الهوية من ضمنها بشكل كبير في هذا الترددي الواضح للعيان ، والذي ادى بدوره الى تناقضات كثيرة جلبت كثيراً من الامراض لهذا المجتمع ، فارتباك الاسس الصحيحة لبناء الهوية العراقية عمل بشكل جدي للإطاحة بهذا المجتمع ، وما نشهده اليوم من افرازات هذا الارتباك لهو خير دليل على ذلك .

على ان ذلك لا يمكن ان يمثل اتهاماً وتشكياً بالأمر ، فهناك من يعتقد ان هناك اشكالية هوية في المجتمع العراقي ، بحيث ان العراقيين وكما ذكر "بطاطو" وغيره ليسوا شعباً واحداً او جماعة سياسية واحدة .

ان محنة وأزمة المجتمع العراقي اليوم هي ليست محنة شعب محكوم بنظام استبدادي - أبوي - ذكوري فحسب ، بل هي محنة وازمة شعب ممزق ومنقسم على ذاته ومتصدع من الداخل وقد تجاوز وضعه كل معقول وواضح .

ان بحثنا الحالي يحاول وبشيء من الجدية الغور في مسببات تهشم وتهميش الهوية العراقية ونتائج ذلك على المجتمع العراقي ، على نحو يعالج كيفية الخروج من هذا الفخ المسمى بإشكالية الهوية .

يتضمن بحثنا عدة محاور ممكن ان يتمثل المحور الاول منه بالكلام عن معنى الهوية والمجتمع ، في حين استطرده المحور الثاني بالكلام عن جذور اشكالية الهوية في المجتمع العراقي ،

ويتبعه المحور الثالث الذي جاء لعرض ملامح اشكالية الهوية في المجتمع العراقي حاضراً ، ثم المحور الاخير الذي نبتغي منه الوصول الى حلول ناجعة لإشكالية الهوية العراقية .
مقدمة

هل من الممكن القول ان تركيبة المجتمع العراقي اليوم قد بلغت حداً نقول معه ان اشكالية الهوية قد اكتملت وبانت ملامحها بشكلٍ ساطعٍ عليها ، ام ان صورة التبعثر المأساوية لهذا المجتمع لم تصل الى تلك الدرجة المبالغ فيها؟

إن ما يطرح نفسه وكتأملات سوسولوجية فاحصة للفجوات والعترات التي فصلت ثنايا هذا المجتمع عن التواصل مع مركباته ، تدعونا الى التساؤل حول ماهية الصورة النهائية المترجمة للازمات والنكبات والمحن التي طرقت بيدٍ من حديد على اركان هذا المجتمع ، وما هي انعكاسات ضرباتها القاصمة على شخصية وعقلية وبنى وتفكير الفرد العراقي ؟

لقد بانّت بشكلٍ جلي صورة واضحة للعيان تترجم الخلاصة النهائية لقرونٍ وعقودٍ مضت من التقهقر والتقرّم والتصدّع والقولبة التي اصابت الشخصية العراقية نتيجة معاصرتها لاجيالٍ تأزمت بالأصل بفعل ما انتابها من كوارث أزلّت الشخصية العراقية وغيرت مسرى حياتها .

ان صورة المشهد العراقي اليوم هي محصلة لأسبابٍ قد اخذت مأخذها من بنية وتفاعلات وأواصر المجتمع العراقي ، فما نشهده ونعانيه حالياً هو تبعثر قيمي واغتراب واستلاب وتقزم ثقافي عملت جميع الازمات المتتالية على هذا المجتمع الى احواله الى بقايا مجتمع ان لم نكن نبالغ يحاول النهوض من جديد .

فكيف نتوقع نهوض مجتمعٍ نهضة نوعية وهو مثقلاً بأمراضٍ مجتمعية لحقت به وعملت على تهديم الاساسات البنوية التي من المفترض ان يعتمدها كقاعدة للانطلاق والتطور والبناء ؟

فمآسي المجتمع العراقي كبيرة وكثيرة ولم يشهد التأريخ باستقرارية هذا المجتمع وعلى كافة مستويات الحياة ، فالتصدّع والتفكك والتدهور والتبعثر الناجم عن الاضطرابات والفوضى السياسية والاقتصادية والثقافية وتعاقب حكم البلاد والتلاعب بمقدراته وخيراته ، كلها جعلت منه مجتمعاً في كل فترة يختلف عن الاخرى ومثقلاً ومعيباً بأزمات ساهمت في صياغة شخصية يعلوها التآرجح وعدم الاستقرار وفاقدة لحقوقها، وما ذلك الا نتيجة حتمية لظروف المجتمع المأساوية .

ان محنة وأزمة المجتمع العراقي اليوم هي ليست محنة شعب محكوم بنظام استبدادي - أبوي - ذكوري فحسب ، بل هي محنة وازمة شعب ممزق ومنقسم على ذاته ومتصدع من الداخل وقد تجاوز وضعه كل معقول وواضح (١) .

فتراكم الازمات خلق مجتمعاً كامل الانهيار وتعاقب كل فترة مأساوية قد يكمل الازمات الى ان وصلتنا صورة هذا المجتمع الى نهايتها بالوضع المتمثل بالانكسار الواضح والانشقاق القيمي والمجتمعي الرهيب ، والنابع من تصدعات قد خلقتها وهيات لها ظروف المجتمع القاهرة من اجتماعية واقتصادية وسياسية ارغمت المجتمع على التبدل والتأقلم لملائمة كل فترة بما تريد .
فما صورة المجتمع العراقي اليوم الا استجابة للظروف المزمنة التي اصررت ان يكون الفرد العراقي على هذه الشاكلة .

ان محنة وازمة المجتمع العراقي اليوم هي ليست محنة وطن فقير او متخلف، فما معروف عن العراق انه بلد غني بثرواته وموارده الطبيعية وطاقاته البشرية وامكاناته المادية والمعنوية ، اضافة الى تراثه الزاخر بالمعطيات العربية والاسلامية وموقعه الاستراتيجي المهم ، والذي كان من الممكن ان يؤسس مجتمعاً مدنياً يكون نقطة تحول واشعاع وتقدم وازدهار لو اعتمد على ذاته واستثمر طاقاته بعقلانية ومنطق (٢) .

لقد اصبح من البديهي ولجميع المتابعين لسيرة حياة المجتمعات ان يدركوا ان اكثر الشعوب والمجتمعات تأزماً هي الشعوب الغنية بمواردها وطاقاتها وثرواتها ، او احتوائها على أية مصدر للقوى او ما يجلب انظار الطامعين الى تسيد العالم وامتلاك ناصية القوة والتطور والسيطرة .
فالعراق ممكن ان تكون احدي اسباب انتكاساته السياسية هي كثرة خيراته وموقعه الجغرافي المتميز ، الذي جعله محط انظار من يطمع ان يحصد خيراته من هذا البلد ؛ الامر الذي جعل هذا البلد ممتحناً بكثرة القلاقل والاضطرابات السياسية التي جرت معها نكبات وازمات اقتصادية لم يذهب اثرها سدى بل وجد تأثيره الكبير في حياة المجتمع العراقي وتركيباته الحياتية المختلفة .
وذلك خير دليل ، فعلى الرغم من مكانة العراق وكما ذكرنا الاستراتيجية وثرواته المتعددة ، والتي كان من المؤمل ان تجعل منه في عداد المجتمعات الغنية والمتطورة ، لم تصلنا تلك الصورة لهذا المجتمع ، فلسان حاله ظل يدل على فقره غير المستحق ، رغم طوفانه على بحيرات ثروات عائمة وخيرات لو امتلكها أي مجتمع وسخرها لصالحه بسلام لملك الارض بما فيها من موازين القوة والتطور .

ولا يقتصر الامر على ثروات وطاقات البلد فالتناقضات والانشقاقات قد تجذرت في بنية هذا المجتمع وقد هيات لها ظروف متعددة ساعدت على استفحالها بشكل كبير ووقوفها كمعوق في تجاوز الازمة .

يتضمن بحثنا هذا عدة محاور ممكن ان يتمثل المحور الاول منه بالكلام عن معنى الهوية والمجتمع ، في حين استطرده المحور الثاني بالكلام عن جذور اشكالية الهوية في المجتمع العراقي ، ويتبعه المحور الثالث الذي جاء لعرض ملامح اشكالية الهوية في المجتمع العراقي حاضراً ، ثم المحور الاخير الذي نبتغي منه الوصول الى حلول ناجعة لإشكالية الهوية العراقية .

المحور الاول : في ماهية الهوية والمجتمع ١. الهوية (Identity)

يمكن القول ان الكثير من الكتابات العربية والاجنبية قد زخرت بالعديد من البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الهوية ، الامر الذي يؤدي الى وقوع الباحث بإشكالية ولبس عند تناول هذا الموضوع ، حيث تكون الاشكالية هي في صعوبة ايجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية ، بسبب تعدد المرجعيات الفكرية التي ينهل منها الباحثون ويتناولوا الموضوع ، فضلاً عن سعته وشموله وتداخلاته في العديد من المفاهيم الاخرى .

لذلك سنورد بعض ما تم الاشارة فيه الى مفهوم الهوية من تعريفات لغرض التعريف بشكل واضح عن ابرز متضمناتها وماذا تعني وكيفية بنائها في المجتمع الانساني . يرى سودي كينيث (S . Kenneth) أن مفهوم الهوية أستخدم بمعنى يتصل بالجماعة وبمعنى يتصل بالفرد أيضاً ، مع ملاحظة الاعتماد المتبادل بينهما (٣) .

وفي تأريخ الفلسفة نوقشت مشكلات الهوية على نطاق واسع ، إذ شُبهت الهوية على أساس تجمع الأجزاء في جسم واحد ، ومن ذلك ممكن أن تتحقق هويته ، وبانفصال هذه الأجزاء لا مكان لهوية ذلك الجسم (٤) .

كما انها حالة ذهنية أو ثقافية تتكون من طرائق التفكير والعمل والسلوك الجمعي، وتجمع بين انتماءات متعددة وتمنح أفراد المجتمع مشاعر وطنية مشتركة تتصف بالتمايز والشمول والاستمرارية، وتوحيدها وحدة من العناصر المادية والاجتماعية والنفسية التي تمنحهم الاستقرار والطمأنينة ، بحيث يصبح المجتمع (الوطن) متعدد الانتماءات للفئات والجماعات الاثنية والدينية والسياسية ، لكنه موحد الولاء للوطن (٥) .

فوجود الهوية وتماسكها معناه عدم حدوث شروخ واضحة في إحدى مقومات المجتمع ، والتي يعتمد عليها بشكل كبير جداً وجوهري ، ومن ذلك فأن تأزم الهوية يؤدي بالنتيجة الى خلل واضح ممكن أن ينتقل عدواه الى بقية بُنى المجتمع المختلفة .

في علم الاجتماع مفهوم الهوية متعدد الجوانب ، ويمكن مقارنته من عدة زوايا ، فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم ، إذ إن هذا الفهم يتشكل انطلاقاً من مميزات محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة ، ومن مصادر الهوية هذه الجنوسة ، التوجه الجنسي، الجنسية ، أو المنطلقات الأثنية ، الطبقة الاجتماعية، الانحدار الطبقي والمركز^(٦) .

ومن ذلك تبرز الأهمية الواسعة لمفهوم الهوية فتعددت الطروحات التي تعمقت كثيراً في إزالة الغموض عن هذا المفهوم وبرزت العديد من التقسيمات التي تُصنف الهوية بحسب الفرد والمجتمع والدولة .

شارلوت سيمور - سميث يعرفها في موسوعة علم الانسان بأنها " ادراك الفرد نفسياً لذاته ، واتسع هذا المفهوم داخل العلوم الاجتماعية لكي يشمل الهوية الاجتماعية ، الهوية الثقافية والهوية العرقية (السلالية) ، وهي مصطلحات تشير الى توحد الذات مع وضع اجتماعي معين ، او مع تراث ثقافي معين ، او مع جماعة سلالية ، ويمكن الحديث ايضاً عن هوية الجماعة ، بمعنى التوحد او الادراك الذاتي المشترك بين جماعة من الناس ، لكن استخدام مفهوم الهوية كان موضع نقاش من جانب الباحثين المعاصرين ، لان هذا المفهوم ينطوي على خاصية ثابتة ومستمرة للفرد او الجماعة، ويرى هؤلاء ضرورة التركيز على عملية التوحد وليس البحث عن هوية ثابتة"^(٧) .

بمعنى توضيح الصور التي تكون عليها الهوية وفق البيئات التي تنشأ بها والاضاع التي تتكيف معها وتتداخل مع مكوناتها بشكل يؤدي الى بناء تلك الهوية لتشكل دعامة اساسية للأفراد الذين يحملونها .

كما انه بدون هوية ممكن ان يغترب الافراد عن بيئاتهم الاجتماعية والثقافية بل عن انفسهم ايضاً ، وبدون تحديد واضح للآخر لا يمكن لهم تحديد هوياتهم ايضاً^(٨) .

وذلك واضحاً حيث ان اغتراب الفرد يتمثل في جزء منه بتعثر هويته ووصوله الى حالة من الضياع بسبب تمزق الروابط التي تؤدي الى رصانة هويته وتبعدها عن التهميش والتقطعات التي يمكن ان تنالها .

ويُنظر للهوية على انها عملية تمييز للفرد نفسه عن غيره من الافراد ، من خلال تحديد حالته الشخصية ، وما ينطوي عليها من بيانات تخصه لوحده^(٩) ، أي انها تخلق الوضعية الخاصة بكل فرد لتمييزه عن غيره دون ان تخلق اختلافاً يصل الى حد التناحر ، بمعنى تخلق التنوع وليس الخلاف من خلال الخصوصية التي تمنحها لكل فرد .

وبعد كل هذه التعريفات فنحن في بحثنا هذا نتكلم عن ما أوقع الهوية العراقية في اشكالية التمزق والتهميش والتبعثر ، الامر الذي يؤدي الى تحطيم اواصر المجتمع وينذر بوجود بني مجتمعية هشة ممكن ان تحيطها جميع المخاطر ومن كل جهة بسبب بقائها مهمشة لا تستطيع ان تجمع كل اوصالها التي مزقتها التناقضات والتناحرات والانظمة الدكتاتورية والتسلطية .

٢. المجتمع (society)

لقد ظهرت العديد من التعريفات للمجتمع في ادبيات مختلفة وسنحاول ادراج بعضها ، يُعرف هوبهاوس (Hobhouse) المجتمع بأنه مجموع الأفراد الذين يسكنون بقعة جغرافية محددة ومُعترف بها من الناحية السياسية ، ولهؤلاء الأفراد مجموعة من المقاييس والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة ، التي أساسها اللغة والتاريخ والمصير المشترك (١٠) .

أي الافراد الذين تجمعهم اواصر معينة تكون مشتركة فيما بينهم وهم يتفقون على سير حياتهم وفق مقاييس وقوانين ونواميس قد وضعوها مسبقاً ولا يمكن التغاضي عنها او الانفلات منها .

وهناك من يُعرّف المجتمع بأنه كل جماعة من الناس الذين يعيشون ويعملون معاً لمدة كافية ، ليتوصلوا إلى تنظيم أنفسهم ، أو ليعتقدوا بأنهم وحدة اجتماعية واحدة مع محددات معروفة بدقة (١١) .

وبتحديد بسيط أيضاً يُعرف المجتمع بأنه نسق من العلاقات المتداخلة التي يرتبط بها الافراد بعضهم ببعض (١٢) .

ومن ذلك تبرز لنا ماهية المجتمع وماذا يضم وكيف تعددت التعريفات المختلفة بشأنه لتتنوعه وتعدده وتناوله تأثيراً جديلاً مع شاغل هذه الارض وهو الانسان الذي هو الاساس لبناء كل مجتمع ، ونحن في خضم هذه التعريفات للمجتمع نحاول التكلم عن المجتمع العراقي من خلال الإشارة الى موضوع مهمة فيه وهي الهوية وما تعرضت له من اشكاليات في الماضي وحاضراً وكيف يمكن التعامل معها في ايجاد الحلول الناجعة لعلاج اشكالياتها .

المحور الثاني : جذور اشكالية الهوية في المجتمع العراقي "مأزق الذاتي والجماعي"

" تقول امارتيا صن في كتابها الموسوم " الهوية والعنف " وهم المصير الحتمي" إن الاصرار حتى لو كان ضمنياً على جانب واحد لا خيار فيه للهوية الانسانية لا يتوقف ضرره على الحد والانتقاص منا جميعاً ، بل ايضاً يجعل العالم مكاناً أكثر التهاباً واضطراباً ، وليس البديل للتقييم على اساس تصنيف واحد مسبق هو الادعاء الكاذب بأننا جميعاً متماثلون فلنسا كذلك وبالعكس فإن الامل الرئيسي للانسجام في عالمنا المبتلى يقع في تعدد هوياتنا التي تتقاطع كل منها عبر الاخرى ، وتعمل على الحد من التقسيمات الحادة حول خط واحد متصلب من التقسيم الحاد الذي يزعم انه لا يمكن مقاومته ، إن انسانيتنا المشتركة تتعرض لاعتراض وحشي شرس عندما تضيق الاختلافات بيننا لتصبح نظاماً تقسيمياً واحداً من تصنيف قوي مفرد " (١٣) .

وفي ذلك اشارة واضحة لما ادى اليه التناحر في اختلاف الهويات وما لحقه من تقطع لأوصال وعلاقات الشعوب من داخلها وخارجها وعلاقتها الانسانية ، بسبب النظر للهوية على انها مصدراً للتمايز والانزواء وليس للتعاون ودمج الطاقات لبناء الحياة .

لعل ما يتميز به المجتمع العراقي هو التعدد والتنوع الاثني والديني والطائفي واللغوي ، حيث سكن في العراق شعب متنوع الاعراق والقوميات والاديان والمذاهب، حيث نرى فيه العربي والكردي والتركي وغيرهم ، وهذا من عوامل القوة والضعف حيث نرى اناساً تختلف اجناسهم وقومياتهم واديانهم يعيشون في بلد واحد ، وان هذا التعدد والتنوع والاختلاف كان وما يزال يسوده التآلف والتعايش والتضامن والتكاتف في هذه البقعة الجغرافية صاحبة التنوع التضاريسي واختلاف الاجناس والثقافات الفرعية ، اذ يشير يورغن هابرماس " الى إن الخلاف وليس الاختلاف هو السبب الرئيس في اشكالية الهوية الذي يعود في جذوره الى ضعف الوعي الاجتماعي من الداخل أي من الذات اولاً ومن الآخر ثانياً ، مع إن الفصل بينهما أمراً تعسفياً لان هناك علاقة جدلية بينهما" (١٤) .

فليس بالضرورة ان كل بلد يحوي اقلية وطوائف واعراق مختلفة يكون على وئام من باب الايمان بمبدأ التنوع الذي يؤدي الى البناء القوي وليس الاختلاف الذي ينسف قواعد المجتمع ، وانما هناك مجتمعات تحوي هذه الصورة المختلفة من التنوعات لكنها تدخل في دوامات تقطع وضياح الهوية الوطنية بينها من خلال التخلي عن مبادئ اساسية تخص المجموع والرجوع الى كل ما ينفع ويخص الأقلية او الطائفة دون الوطن ومصالحته العامة .

ان نتيجة التعاقبات المستمرة لإدارة البلاد من فترات حكم العراق ، قد افرزت فجوات قد تخللت فيها كيانات قد حكمت المجتمع واصبح بين مطرقة من يحكمه وسندان ما فرضه الواقع المرير عليه .

ولعل المتتبع لجذور اشكالية الهوية في المجتمع العراقي يرى ان السبب الاول في هذه الازمة منذ نشوء الدولة العراقية في عشرينيات القرن العشرين والى الان يكمن في غياب دولة موحدة تتمكن من تمثيل هوية عراقية واحدة تنصهر في داخلها جميع التنوعات والتفرعات الدينية واللغوية والعرقية^(١٥) .

اذ ان لا شك في ان ازمة الهوية تحدث عندما يصعب انصهار افراد المجتمع كافة في بوتقة واحدة تتجاوز انتماءاتهم التقليدية الضيقة وتتغلب عليهم آثار الانتقال الى المجتمع العصري بتعقيداته المختلفة بحيث يشعرون بالانتماء الى ذلك المجتمع ، كذلك غياب الدولة التي تستطيع سياساتها ان تجمع اطراف المجتمع الواحد وتجعل منه كتلة موحدة لا يمكن ان تتجزأ او ينظر للمجتمع على انه خليط قابل للتجزئة ، فالحفاظ على الهوية من ان تنهش هو كفيلا بعمل الدولة وقدرتها على ذلك .

كما ان وقوع العراق محاذياً للصحراء له اهمية كبيرة في اكتساب قيم البداوة المتأصلة من الصحراء ، وقد لعب ذلك دوراً كبيراً في صراع القيم الاجتماعية التي تحكم الفرد العراقي ، فما حياة المجتمع العراقي منذ تلك الفترات الا عبارة عن صراع ثقافي تمثل بصراع الفرد الحامل لقيم البداوة والصحراء مع قيم المدن والحضر ، حيث ان توالي الحكومات على حكم العراق ودخول البلد في مآهات سياسية كبيرة قد ادخلت قيم الحضارة الوافدة بشكل كبير على قيم الصحراء التي يتمسك بها المجتمع العراقي .

ان تلك بحد ذاتها قد خلقت فراغات قد انشغلت بتوترات وصراعات قيمية خفية ترجمت الى نزعات مكبوتة او افعال تدل عليها بالتعامل الحاد والقيم المتعصبة في الداخل دون الخارج ، ومن صفات القيم البدوية الولاء للعشيرة دون الاستعاضة عنه بالولاء للوطن، ولا زال العراق يعاني الى يومه هذا من ضعف الانتلجنسيا وضعف الولاء للوطن والقومية مقابل الولاء للعشيرة .

ان ضعف السلطة المركزية في العراق خلال القرون الماضية اضافة الى الحروب والصراعات والموجات البدوية المتتالية ، الى جانب الاستبداد في الحكم ، كل ذلك ساعد على نشوء إمارات ومشيخات وسلطات محلية وجماعات مختلفة وفرت مجالاً خصباً لتقوية الروح العشائرية والنزاعات الطائفية واعادة انتاج وبلورة القيم والعادات والتقاليد العشائرية البدوية ، مما ساعد على

عودة القيم والعصبيات القبلية والطائفية والمحلية على حساب القيم والأعراف الحضرية وتحول الولاء لقبيلة والعشيرة مقابل الولاء للوطن (١٦) .

ان اخطر ما يفكك المجتمع ويذهب به بعيداً ويحشره في خانة التمزق والانهيال، هو عدم النظر الى المجتمع من نظرة الكل دون النظرة الجزئية المقسمة ، فالعشيرة جزء من الوطن الا ان الولاء لها مقابل الوطن معناه نشوء تحزبات وصراعات وجماعات تحاول بعثرة كل شيء ووضع القوالب الخاصة بها التي تمنحها الامان والمصلحة الشخصية دون مصلحة الوطن والولاء له .

وذلك ما مر به المجتمع العراقي عبر فترات حياته ، اذ ان العشائرية متجذرة فيه الا انها في تفاوتٍ مستمر ، حيث ان قوتها معناه ضعف السلطة المركزية الراضة للولاء للعشيرة مقابل عدم الولاء للحكومة والوطن ، وضعفها معناه قوة الولاء للوطن دون العشيرة ، ومن حين الى آخر قد لمحننا فترات المجتمع العراقي وهي مملوءة بتذبذب قوة العشائرية من فترة الى اخرى ، حيث ان طغيان النزعة العشائرية قد يفضي الى تفتت البنية المجتمعية القائمة على كيان الدولة .

لقد شهدت الدولة العراقية اندماج القبيلة بالمؤسسة العسكرية ، مما شجع على تداخل القيم والأعراف العشائرية بقيم واعراف المؤسسة العسكرية والحياة الحضرية مع انتاج اشكال من الاندماج والتماسك التقليدي الذي ساعد على تمركز السلطة في يد القبيلة وتحطيم الدولة البرلمانية التقليدية عن طريق ضرب المنظمات الجماهيرية وإضعاف الطبقات الاجتماعية وعلى الاخص الطبقة الوسطى وانتهاج الدولة لسياسة القمع والضبط والسيطرة (١٧) .

وما يدل على تآزم الهوية بشكل رئيس في المجتمع العراقي وكأعراض هو سيطرة فئة بعينها على نظام الحكم ، حيث من الممكن ان تتمسك بزمام ادارته وكأنها المالك الحقيقي له دون ان تسمح لجهة أخرى بطرح ما يسمى قضية ان الوطن للجميع ، وذلك ما دأب عليه العراق في اغلب فترات حكمه اذ تتميز العلاقة بين السلطة الحاكمة والشعب بالتوتر وفقدان الثقة والقمع والسيطرة القوية عليهم واغتصاب الحقوق (١٨) .

ولعل وجود طرف معين يسيطر بقوة وبطريقة تسلطية ودكتاتورية على المجتمع يفقده الكثير من اواصر تماسكه ويؤدي بالضرورة الى تمزق وتبعثر هويته ، وقد شهدت فترات حكم العراق انظمة مأساوية من التسلط التي حكمت هذا البلد على طول فترات حياته بالقوة وأخذ حقوقه وسلبها وكبت لحرية والتعدي على الهويات وعدم افساح المجال للمجتمع بأن ينهض من خلال استغلال خيراته وتمزيقه ونسف جذوره وامتهان كرامة ابناءه .

لربما تكون المشكلة هي ليست في وجود التحزبات العشائرية وبطغيان النزعة العشائرية الرامية الى قيادة المجتمع والتحكم به وفق اطرها التصورية القائمة على قيم وتقاليد العشيرة المستمدة على الاغلب من نفحات بدوية مؤكدة قد تعرض لها فحسب ، وانما الخطر يكمن في كيفية معالجة وضع مجتمع يشهد تعددية في كل شيء الا الحكومة ، فهل يجوز حكمه وفق تصور عشائري بدوي واحد ؟

ان العراق وكمشاهد على تأزمه يضم تعدداً اثنياً كبيراً ؛ الامر الذي جعل من صورة اتحاده وضبطه مشوشة للغاية ، فبلد الاقليات القليلة ربما يخشى التأزم بين اقلياته فكيف ببلدٍ مثقل بالعديد من الاختلافات والتصورات المتمثلة بما هو موجود فيه من تعددية اثنية ، ولعل ذلك هو من الاسباب الكبيرة في تردي اوضاع الهوية في المجتمع العراقي ، حيث اجتمعت فيه كثرة التعددات فضلاً عن كثرة التناحرات والتقاطعات فيما بينها لعدة اسباب منها ما يتعلق بالدولة وتسلسلها وبالموقع الجغرافي والثروات ونظرة الآخر للمجتمع وشخصية الفرد العراقي وثقافته .

لقد باتت تركيبة المجتمع العراقي تنذر بولادة اجيالٍ جديدة لا تعرف معنى الانتماء والولاء للوطن ومفهوم الدولة الحديثة وروح المواطنة والانتماء الحزبي او النقابي، لأنها اجيال قد نشأت على التسلط والخضوع والقهر والاستلاب واضطرت بشكل او بآخر الى الالتفاف حول نفسها ومصالحها الآنية والتضامن فيما بينها عشائرياً ومذهبياً وطائفياً رغم انخراط عدد كبير منهم في الاحزاب والمنظمات المدنية والجماهيرية والمؤسسات العسكرية بسبب الخوف والحاجة من جهة وكتعبير عن روح التمرد من جهة اخرى^(١٩) .

فما صعود نجم العشائرية في اوقات الازمات الا دليل واضح على خيبة امل المجتمع العراقي بالسلطة الحاكمة وخوف وشعور الفرد العراقي بجدوى العودة الى عصبية القبيلة ، التي من المؤكد انها حامية له ومطالبة بأبسط حقوقه وواجباته ، وما انتاج اجيالاً لا تعرف ولا تفقه معنى الحياة بأبسط اشكالها لهو محصلة وشيكة لمجتمع قد غيبت الازمات عن ربط او اصره جيداً ليخلق منها نسيجاً متكامللاً لا ينثني عند مروره بأية ازمة .

فكيف يفهم العراقي معنى الولاء الوطني وقد أودع في ظلمات الكوارث والنكبات التي دفعتة الى التفكير بكيفية البقاء حياً واللجوء الى القوي الذي يكفل الحماية والخضوع له دون التفكير بالمواطنة وحرية الرأي والتعبير ؟

المحور الثالث :

ملاح اشكالية الهوية في المجتمع العراقي حاضراً
(الانتكاسة الاخيرة)

" إن ازمة الهوية في العراق هي قبل كل شيء ازمة حرية وازمة وعي بها ، وازمة تفاهم وحوار مع الآخر ، بمعنى آخر هي ازمة مواطنة لم تتبلور وازمة دولة لم تكتمل ويتم نضجها وازمة نظام سياسي يتجاوز على حقوق المواطن وانسانيته " (٢٠) .

فالعراق هو واحد من البلدان التي تعاني ازمة هوية ، وتمثل ذلك واضحاً منذ نشوء الدولة العراقية عام ١٩٢١ الى يومنا هذا ، ولم يبقى الامر على ذلك المنوال وانما ازداد الامر سوءاً بمجيء القوات الاميركية والبريطانية واحتلالهما للعراق ، الامر الذي اثار الشكوك والمخاوف بين المكونات الاساسية للمجتمع العراقي التي باتت تعاني ارهاصات وتراكمات نفسية واجتماعية وسياسية، تم تفجيرها تحت عدة مسميات مما جعل البلد مهياً للتفكك والانحلال ، حيث تمر البلاد بمرحلة انتقالية ظاهرها الحرية والديمقراطية وداخلها تفكك وضرب البنية الاجتماعية بمكوناتها وتهميش هويتها (٢١) . ولعل اسباب وجود ميول صريحة او ضمنية لدى الانظمة العراقية في ممارسة الاستبداد والقوة، ادى الى الفشل في بناء هوية وطنية لها ولمواطنيها ، تساعدها في تحقيق الاندماج السياسي والاجتماعي والثقافي لشعبها .

كما ان الطبيعة الاستبدادية لحكام الانظمة السلطوية في العراق والتي تتجسد في حب السيطرة والتمسك بالسلطة وكبت الحريات والقمع ضد الجماهير والشمولية والدكتاتورية وغياب التشريعات التي تضمن حقوق المواطنين وحياتهم في التعبير عن افكارهم والمشاركة في الحياة السياسية ، ادت الى تكريس ثقافة الخضوع والطاعة والانصياع .

ان ما تعرض له الفرد العراقي في ظل الاحتلال والتغيير الهائل الذي طرأ على حياته وما ساهم في تغيير الهوية العراقية ، جعله ذلك يبحث عن ظل يستظل به فلم يجد مكاناً يهرب اليه او يلتجأ له غير الهياكل الارثية التي تجدد الارتباط بها بقوة وهي القبيلة والطائفة ، الامر الذي شكل عبئاً على المواطنة وانتهاكاً لها عندما تحول الولاء من الدولة والمجتمع الى ولاء للعديد من الجهات دون النظر لمصلحة الوطن والولاء له (٢٢) .

يقول د. غسان سلامة وآخرون في كتابه الموسوم (لمجتمع والدولة في الوطن العربي) " ان مسألة الهوية تنطوي في الاساس على معانٍ رمزية وروحية وحضارية وجماعية تعطي الفرد احساساً بالانتماء الى جسم أكبر وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الاكبر ، ولكن يقل اهمية عن هذه الوظيفة الرمزية الروحية الحضارية للهوية وظيفية عملية أخرى ، ونقصد بذلك فعالية الدولة

التي تحمل هذه الهوية وتروج لها في الدفاع عن ارضها ومجتمعها وفي اشباع الحاجات الاساسية لمواطنيها " (٢٣) .

لقد شهدت العقود الثلاثة الاخيرة من تاريخ المجتمع العراقي انتكاسةً حضارية عميقة الاثر والتأثير ، وبخاصة منذ استيلاء النظام السابق على السلطة وفرضه لنظام تسلطي - أبوي - استبدادي قاد المجتمع الى حروب طاحنة وكوارث وحصارات ومآسي خطيرة تركت بصماتها واضحة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية لهذا الشعب ، وايضاً قد طالت بشيء لا يقبل الشك مستقبل العراق، اذ كان من نتائج ازمت هذا النظام انهيار البنية التحتية وتمزق النسيج الاجتماعي والعائلي والاخلاقي ، بحيث اصبح العراق منقسماً على ذاته ومنشطراً الى هويات فرعية متعددة مما لعب دوراً جوهرياً في تغيير الثوابت الوطنية للشخصية العراقية وتشويه سماتها الأصيلة المتجذرة ، والتي حاول العراقيون الاحتفاظ بها قرناً طويلاً (٢٤) .

فلا تكاد الشخصية العراقية اليوم تعرف حدودها وهل هي على الجادة الصحيحة ام لا ، وماذا عليها ان تفعل وماذا اغفلت ، ولماذا صبرت وما السبب في انهيار حياتها على هذه الشاكلة ، فالدوران المفرغ والريبة وعدم الاطمئنان قد اصبح من صفات هذه الشخصية المنهارة في اكثر وجوهها .

ان القرون المظلمة السابقة التي مرّت على العراق لحين تشكيل الدولة العراقية في بداية القرن العشرين ، كونت مجتمعاً متخلفاً واقتصاداً راكداً وثقافة تقليدية وانقسامات اجتماعية قولبت شخصية الفرد العراقي ورسمت سماتها ، غير ان ما تعرضت له من تغيرات بنيوية عميقة خلال العقود الثلاثة الاخيرة بوجه خاص قد عملت على تغيير اطر هذه الشخصية وهذا المجتمع (٢٥) .

لقد اسهم النظام السابق في تعميق الروح القبلية والطائفية وبدلاً من ان يقوم في تحرير الافراد منها ليكون منهم مواطنون صالحون ، رسخ القيم والتقاليد والعصبية القبلية والطائفية عن طريق اعادة انتاجها وترسيخها وتأجيج روح الطائفية .

يقول الدكتور علي الوردي ان ازدواجية الشخصية ظاهرة اجتماعية موجودة في كثير من المجتمعات البشرية ، وهي تتفاوت في قوتها وضعفها بحسب ظروف كل مجتمع ، وسببها هو وقوع المجتمع تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم فيضطرب بعض الافراد نتيجة ذلك الى الاندفاع وراء احد النظامين تارة ووراء الآخر تارة ، أي وجود تناقض في الاتجاه نحو النظامين (٢٦) ، وذلك واضحاً وقد اثبت صحته من خلال ميل الشخصية العراقية الى التعامل بمنظار مزدوج مع الاشياء ؛ الامر

الذي خلق لها تذبذب في الاستقرار على جانب واحد لرجحان دخول ميل الشخصية الى الاتجاهين بين فترة واخرى .

وايضاً كما يذكر الوردى ان من العوامل التي ساعدت على استفحال ازدواجية الشخصية العراقية اضافة الى ازماتها السابقة هو ما اتصف به اهل العراق من ميل للجدل والولع فيه^(٢٧) ، اذ اصبح اغلبية المجتمع العراقي يجادل في كل شيء وما ان تجادله في امر معين قد يتحول الى الآخر تاركاً ذلك الامر وراءه دون التركيز وبنوع من الدقة حول الامر ، وذلك في حقيقة الامر خفايا مكتوبة يحاول الفرد العراقي وكنتيجة لأزماته التي ضيقت حياته وحرته عليه ان يبرز للجانب الآخر قوة شخصيته وتمكنه وسيطرته على احواله ، الا ان ذلك يشير الى وصول الشخصية العراقية وفي هذا الجانب الى درجة عالية من الانهيار ومحاولة التثبيت بالواقع .

كما ان هذه الجدلية قد لاتزال قوية في العراق ، وقد اخذت لها صوراً اخرى اذ تحولت من طابعها الديني القديم قليلاً او كثيراً فصارت تدور حول مواضيع حديثة سياسية او اجتماعية او اقتصادية^(٢٨) ، وما ذلك الا اغتراب في الشخصية بحيث باتت لا تعرف ماذا تفعل والى اين تتجه وما هو مدارها، فتحاول ان تعطي الامل لنفسها بأنها على اطلاع بكل شيء لغرض البقاء دائماً في الصورة خوفاً من التهميش الواقعي الذي تعرضت له والذي يحيط بها من كل جانب .

فصورة الشخصية العراقية الآن ، هي ان هذه الشخصية بعد تعرضها منذ فترات طويلة الى صدمات متنوعة، إضافة إلى طبيعة حياتها وتعرضها للمد البدوي وما يقابله من مد حضري قادم ، قد جعلها وكما قال الوردى تعاني ازدواجية في الشخصية ، واصبحت واقعة تحت تأثير نظامين من القيم وهي تتناغم مع نظام مرة وآخر مرة فقد أصبحت تتناغم مع كل الأطراف ، فنجدها تتكيف وتتمحور مع عدة اتجاهات ، اذ نراها مثلاً مع القيم البدوية ثم تتحول الى مساندة القيم الجديدة ومرة اخرى ترفض كلا النظامين وتختط لها طريقاً آخر او انها قد تأتي بأفكار اخرى لا تميل الى اية طرف وانما متأتية من عندياتها ووفق ما يلائم حاجاتها وطبيعة حياتها ؛ الامر الذي جعل من هذه الشخصية صعبة التركيب وصعوبة في وصفها بهذه الصيغة المعقدة ، وبالتأكيد من شأن ذلك ان ينسحب على الحياة العامة للمجتمع العراقي ، فوجود شخصية بهذه الالوجه المتقلبة معناه عدم استقراريتها في ثوابتها التي من المؤكد ستضطرب كلما تقدم الزمن .

فالوقت الراهن بمشكلاته وتناقضاته كفيل بإحالة هذه الشخصية الى الصورة التي هي عليه الآن ، فالصدمات كثيرة ومتنوعة اضافة الى ما انفتح عليه المجتمع العراقي الآن من دخول وافد حضاري جديد .

ان الحضارة الحديثة قد جاءت لنا بأفكارٍ ومفاهيم ومبادئ جديدة تناقض العادات الاجتماعية التي نشأنا عليها في بيئاتنا المحلية ، اذ انها جاءت لنا مثلاً بمبادئ المساواة والديمقراطية والحرية والوطنية ، وتلك في الحقيقة لا تتسجم وتتوافق مع ما نشأ عليه المجتمع العراقي من قيم العصبية والقرابة والجيرة والنخوة وحق الزاد والملح وغيرها من العادات الاخرى السائدة في الجيل الماضي (٢٩) .

ان كل ذلك كفيل بخلق ازمة هوية حادة وضياع لحقوق الانسان وهذه هي المحصلة النهائية التي وصلت اليها واتضحت فيها صورة المجتمع العراقي كمجتمع يعاني تدهوراً بنويماً شديداً وتفككاً واغتراباً واستلاباً وتبعثراً قيمياً وتذبذباً واضحاً في كيفية لملمة ومعالجة الجراح ، وقد وجد ذلك له ترجمة في تبدل قيمي واضح وتقطع للولاء الوطني الذي قابله الولاء للعشيرة ، والذهول من صدمات الحرية والديمقراطية ومفاهيمها مع عدم القدرة والعجز عن الصمود بقوة .

تقول أمارتيا صن " يمكن ان يكون الشعور بالهوية مصدراً ليس فقط للفخر والبهجة ، بل ايضاً للقوة والثقة ، الا ان الهوية يمكن ايضاً ان تقفل وبلا رحمة ، ففي حالات كثيرة يمكن لشعور قوي ومطلق بانتماء يقتصر على جماعة واحدة ، ان يحمل معه ادراكاً لمسافة البعد والاختلاف عن الجماعات الاخرى " (٣٠) .

وطبقاً لذلك فالارتباب من تفكك الهوية وضعف روح المواطنة يعود في كثير من الاحيان الى عدم الوعي الاجتماعي بها ، وضعف آليات الدفاع الجمعي عنها وعدم القدرة على التعاطي مع الآخر المختلف بشكل ديمقراطي ، بسبب ما ينتابها من ضعف وعجز واحباط عن اقامة حدود التوازن بين الانا والآخر وبخاصة في اوقات الازمات والتحديات المصيرية مثلما يشهده المجتمع العراقي اليوم (٣١) .

فماذا يعني ان العراق في مسيرته المتأزمة قد وصل الى ازمة هوية حقيقية؟

فالمجتمع العراقي اليوم يعاني من ازمة هوية بكل ما للكلمة من معنى، فكيف لا يعاني ضياع الهوية وهو لم يعرف معنى الحرية ، وان عرفها فقد كانت بصورٍ مختلفة عما هو معهود لها ، اضافة الى ان وعيه قد غُيب واصبحت هناك قولبة واضحة لوعي زائف قائم على خدمة القوي ليعطي للضعيف فتات ما يقتات عليه ، اذ ان تلك كلها قد حطمت مبادئ المواطنة التي لم يعرفها المجتمع العراقي واستعاض عنها بالولاء للعشيرة وللتحزبات والسلطة القوية دون الوطن ، بصورة قد جعلت هذا المجتمع ارضاً خصبة لاستفحال وثبوت كل عوائق ومقيدات الحياة .

لقد تطبع المجتمع العراقي حالياً بصفاتٍ تدل على محنته العصبية ، اذ افرزت تداعيات الحروب والحصارات افرزات اقتصادية واجتماعية ونفسية عبرت عن نفسها بحالات الجريمة والعنف التي اتسم بها الفرد العراقي وما رافق ذلك من حالات نهب وسلب وتدمير لكل مقومات الحياة اضافة الى ما يمتلكه من نزعة التغالب البدوية .

ان بروز هذه الظواهر السادية والماسوشية لدى المجتمع العراقي هي نتيجة فعالية لتكوينه المعيشي وظروفه البائسة التي مر بها من عمليات اباداة واضحة تمثلت بعسكرة المجتمع وفصل مؤسساته بأدوارها ووظائفها عن اداء ادوارها مع بعضها الآخر بالشكل الذي يرتجى منها .

لقد اصبح من الواضح ان اشكالية الهوية التي اصبحت سمة بارزة للعيان للمجتمع العراقي اليوم ، هي ثمار ازماتٍ هدمت البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية لهذا المجتمع ، محيلة اياه الى مجتمعٍ يطفو على بركةٍ كبيرةٍ من الهموم والطموحات التي ينتظر تحقيقها .

المحور الرابع :

الحلول الناجمة لمعالجة اشكالية الهوية العراقية

يقول الدكتور علي الوردي " ان الذي يستمع الى خطاباتنا ومقالاتنا يحسب اننا قد وصلنا في علاقاتنا الاجتماعية الى ارقى ما وصلت اليه الامم المتقدمة قبلنا ، ولكن هذا (الرقى) لا يدعو طور الكلام في الغالب ، اذ لا يكاد يتغلغل في اعماق المجتمع حتى نجده لم يتغير في عاداته كما كان عليه في الماضي الا قليلاً " (٣٢) .

فهل سيتمكن المجتمع العراقي وهو يحمل هذا الكم الهائل من المخزون القيمي المتأثر بالبداوة وصراعها مع المد الحضري وبأزماته المختلفة ان يقف بثباتٍ وبدون ضعف ، وكيف يمكن ذلك والكلام هو اسهل من التطبيق والفعل ؟

ان المسألة لا يمكن ان تكون بهذه الصعوبة ولكنها تحتاج الى تفكيرٍ جاد بكيفية النهوض من جديد وتخطي الازمات بل وعمل مصدّات امان لمواجهة اية ازمة قد تهدم وتحطم المجتمع من جديد . فالشخصية العراقية يجب ان تقيس مدى استعدادها من الداخل للتغيير وتقبل الآخر ، اذ لا يمكن ان نعول على تحقيق انجازات دون معرفة دواخلنا وقياس ما يمكن تحديده من نقاط ضعف يمكن الوقوف عليها لتحقيق تقدم ونجاحات تنتقل بنا الى الامام ، مع عدم اهمال الاخر الذي يكون مهماً جداً في تقدمنا ومحاولة القضاء على كل ما يعيق انجازاتنا .

كذلك ايضاً الاحتكام الى دولة المؤسسات والقانون من خلال الوعي بضرورة التخلي عن التشريعات التي تعطل حق الدولة في توطيد دعائم الحكم ومعرفة الحقوق الواجب ان يمنحها قانون

الدولة وما علينا من واجبات ممكن ان تساهم في تحقيق وانجاز طموحات المجتمع والدولة دون التجاوز عليها . وتوطيد الولاء الوطني دون الولاء للعشيرة والقبيلة ، حيث يمكن ان يكون الولاء للعشيرة ليس على حساب الولاء للوطن وانما الاستعانة بالعشيرة لبناء الوطن والمجتمع وليس ضرب الوطن وتهميش ادواره وتقسيمه واضعاف هويته ، واثراء ثقافة التسامح والحوار ونبذ كل ما يشير الى العنف ومعاداة الآخر ، من خلال خلق رباط التعاون والتآزر بين كل مكونات المجتمع العراقي دون تمييز الواحدة عن الاخرى والتعامل تجاههم وفق الحقوق والواجبات ، مما يؤدي الى سيادة الروح الجماعية دون تفكيك وتقطيع المجتمع .

اضافة الى محاولة الانفتاح العقلاني المثمر الذي يؤتى ثماره دون الوقوع في مهالك الانفتاح غير العقلاني الذي ربما قد يزيد الامور تعقيداً ، وذلك يكون عن طريق التعاطي مع نتائج الخارج بعقلانية نلاحظ من خلالها مدى توافقها مع معطياتنا وارثنا وعاداتنا وما يتلائم منها لنقتبسه ونجعله مفيداً لنا ، مع اخذ الحذر من كل ما لا يتلائم مع اصولنا وتراثنا الذي ممكن ان يؤدي نتائج مأساوية قد لا يحمد عقباها ، وايضاً فهم التراث والتاريخ يفترض ان يكون فهماً عقلانياً بعيداً عن كل ما هو مشوه لقاعدة التراث ، حيث ان التراث قد جاء الينا بشكل ممسوخ واقيمت فيه خصومات مفتعلة ومناهضة للتقدم العلمي والاجتماعي (٣٣) .

لذلك ينبغي علينا حتى نحافظ على تراثنا وهويتنا ان نفعل ذلك التراث بعقلانية دون الانجرار للقواعد الثابتة التي تمجد التراث رغم ما فيه من اخطاء ، وانما الاحتكام الى العقلانية في التعامل مع كل ما هو مفيد من التراث وتمكين التفاعل معه ليلائم متطلبات الحاضر دون نفسه او القضاء عليه . وربما يمكن القول اننا قمنا بالتعامل مع معتقداتنا وتقاليدنا من خلال تقديسها بشكل كبير وحجزنا بذلك انفسنا في هذه القدسية لتي لا نستطيع في كثير من الاحوال الخروج عنها (٣٤) ، ما يستوجب منا حتى نحافظ على هويتنا دون تمزق من قبل منظومة التقاليد والعادات التي تسيرنا وفق ما تريد ، ان نفرز بشكل دقيق بين ما ينفعنا من هذه العادات وبين من عاد لا ينفعنا وانما بات يشكل خطراً علينا والتعامل معها بفكر وعقلانية تحافظ على الارث بالاستفادة من عبره دون اخذ الضار منه. ومن بين الامور الاخرى الواجب تفعيلها لفك اشكالية الهوية في المجتمع العراقي هي العودة الى الذات ومحاسبتها على ما بدر منها من اخطاء والوقوف عليها .

وربما تعد العودة الى الذات احد مظاهر الصمود خطأً او صواباً ، حيث ان ما يحدث هو ان يعود الفرد الى نفسه ويقوم بالتأمل بما اعترى حياته ليسترجع قواه ويستطيع ربما النهوض مرة اخرى (٣٥) .

وذلك يكون مهماً في تحقيق التوازن الداخلي والانتصار على الفشل في الداخل وتحديد نقاط الضعف وتشخيصها بدقة ليتسنى بعد ذلك وضع العلاجات المناسبة لما وقف امام تقدم الفرد وما يساهم في تحقيق اندماجاً واسعاً للهوية دون تعرضها للتمزق والتهميش .

ايضاً من الامور الواجبة لتعزيز الهوية في المجتمع العراقي هو عدم السماح للسلطات الدكتاتورية بسلب حقوق المواطنين وكبت حرياتهم وبعبثة جسدتهم الاجتماعي ، مما يؤدي الامر الى تقطع الهوية العراقية ، فالمطلوب النظر بجدية لمن يتولى ادارة البلاد واختياره بدقة ليكون حريصاً على التعايش السلمي بين تنوعات المجتمع الواحد وخلق منهم كتلة واحدة تستطيع ان تقف بوجه كل الكوارث والاطار الخارجية والداخلية ، وهنا يلعب الشعب ايضاً دوراً مهماً في الانتخاب وتحديد مصيره من خلال اختيار المؤهلين لقيادة البلاد الى التقدم والازدهار وليس الى الحروب والانتكاسات والكوارث الكثيرة التي ممكن ان يجلبوها للشعب .

كذلك النظر الى مسألة الهوية بوعي تام نابع من الحرص الواجب توفره في تعزيز كل ما يؤدي الى التضامن والتكافل والعمل كوطن واحد ، وعدم فسح المجال لكل الدعوات التي تتادي بالتجزئة وجر المجتمع الى التفرقة والعنصرية والطائفية ، والتي هي بالتالي تدفع بالمجتمع الى الاحتراب والتفرقة وتشتت أطيافه وسحق الهوية واندثارها .

وكل ذلك لو تم تطبيقه لهو كفيل ببناء مجتمع وشخصية حدية ذات وجه واحد وتتمتع بدرجة من الاستقرار والثبوت وحافطة لحقوقها الإنسانية ، وبالتالي خلق مجتمعاً ذا هوية قوية قادرة على النهوض به الى مستويات عالية من التقدم والتطور والرقي ، وان حصل العكس من ذلك ممكن ان ينهار المجتمع الذي يستند بشكل كبير على الهوية التي تمثل الاساس القوي في تماسكه .

خاتمة

ان تهشم الهوية وتأزمها له الاثر الكبير في اختلال توازن أي مجتمع يتعرض الى مثل هكذا نكسات ، فكثير من التصدعات قد تعرض لها المجتمع العراقي والتي أثرت بشكل جوهري على أساسات هويته ؛ الامر الذي جعل من تمسكها متأرجحاً ويحتاج الى إعادة صياغة جادة من جديد للوقوف على أسباب التدهور ومعرفة اين يتمركز الخلل ، لكون أن الهوية مع مقومات أخرى ركائز لا يستغني عنها أي مجتمع ينشد التواصل والمضي بالتقدم مع سائر المجتمعات الاخرى .

أن ما عكفنا عليه في هذا البحث هو اطلالة بسيطة لمعرفة لماذا باتت هوية المجتمع العراقي في اشكالية كبيرة ، وما الذي ادى الى وصولها الى هذا الحال وكيف بانته الصورة الحالية لها في الحاضر

العراقي ، وما هي الحلول التي ممكن ان نأخذ بها لوضع ما يمكن ان يؤدي بدوره الى إزالة الخلل فيها من ملابسات ادت الى تهميشها وتقطع اوصالها .

الهوامش

١. د. ابراهيم الحيدري ، المحنة في العراق اليوم : استلاب الثقافة واغتراب الشخصية تركة النظام السابق هدمت البنية التحتية وفرقت النسيج الاجتماعي ، بحث منشور على الانترنت في مجلة النور ، العدد ١٦٣ - ١٦٤ ، ٢٠٠٥ :
www. Annoormagazine . com / mag / ar / 163 / makalat _ 03. asp – 80 k -
٢. نفس المصدر السابق .
3. Soddy Kenneth , Identity Health and Value System , London, Tavistock , 1961 .p. 4 .
4. Baruch A . Brody , Identity and Essence , New Jersey , Princeton press , 1980 .p. 3 .
٥. د. ابراهيم الحيدري ، هل يبحث العراقيون عن هوية ؟ مقال منشور على الانترنت في جريدة الشرق الاوسط ، العدد ٩٣١٩ ، ٢٠٠٤ :
www. Asharqalawsat . com /leader .asp? section = 3& issue = 9319 & article = 237337-22 k .
٦. أنتوني غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة وتقديم د. فايز الصيّاغ ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص٩٠ .
٧. شارلوت سيمور - سميث ، موسوعة علم الانسان : المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية ، ترجمة : علياء شكري وآخرون ، القاهرة ، مطابع الاميرية ، ط٢ ، ٢٠٠٩ ، ص٥٥٣ .
8. Manuel Castells , The Power of identity , Blackwell publishing ltd , uk , 2ed , p. 6-8 .
٩. د. احمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٢ ، ص٢٠٦ .
10. L . T . Hobhouse , The Material Culture of Simpler People , London , 1964, p . 23 .
11. Ralf Linton , The study of Man , New York , Appleton –century , 1936 , p.91 .
١٢. أنتوني غدنز ، مصدر سابق ، ص٧٩ .
١٣. امارتيا صن ، الهوية والعنف : وهم المصير الحتمي ، ترجمة سحر توفيق ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٥٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ٢٠٠٨ ، ص٣٢ .
١٤. د. ابراهيم الحيدري ، آراء وافكار (المكونات الاجتماعية والثقافات الفرعية واشكالية الهوية في العراق) ، مقال منشور في جريدة الاتحاد :
www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid...
١٥. سليم مطر ، جدل الهويات (عرب - اكراد - تركمان - سريان - يزيدية) صراع الانتماءات في العراق والشرق الاوسط ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٣ ، ص٦٦ .
١٦. د. ابراهيم الحيدري ، المحنة في العراق اليوم ، مصدر سابق .
١٧. المصدر نفسه .
١٨. ناصر حسين ناصر ، محنة الاكثرية في العراق : صفحات من ملف الطائفية السياسية ، بيروت ، دار المصطفى ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص٨١-٩٨ .
١٩. د. ابراهيم الحيدري ، المحنة في العراق اليوم ، مصدر سابق .

- ٢٠ . د. ابراهيم الحيدري ، هل يبحث العراقيون عن هوية ؟ ، مصدر سابق .
- ٢١ . رشيد عمارة ياسين ، أزمة الهوية العراقية في ظل الاحتلال ، بحث منشور في كتاب استراتيجية التدمير : اليات الاحتلال الامريكي للعراق ونتائجه (الطائفية - الهوية الوطنية - السياسات الاقتصادية) ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي (٤٩) ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص٤٩-٥٠ .
- ٢٢ . شمخي جبر ، التحديات امام الهوية العراقية وتذويب الهويات الفرعية ، مجلة النبأ ، العدد ٨٠ ، السنة الحادية عشر ، بغداد ، مركز المستقبل للثقافة والاعلام ، ٢٠٠٦ ، ص١٢٥ .
- ٢٣ . د. غسان سلامة وآخرون ، المجتمع والدولة في الوطن العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٣ ، ٢٠٠٥ ، ص٣٣٢ .
- ٢٤ . د. ابراهيم الحيدري ، هل يبحث العراقيون عن هوية ؟ ، مصدر سابق .
- ٢٥ . المصدر نفسه .
- ٢٦ . د. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، قم المقدسة ، منشورات سعيد بن جبير ، ط١ ، ٢٠٠٥ م ، ص٢٣٩ .
- ٢٧ . المصدر نفسه ، ص٢٤٢ .
- ٢٨ . المصدر نفسه ، ص٢٤٤ .
- ٢٩ . د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الاول، لندن ، دار كوفان للنشر ، ط٢ ، ١٩٩١م ، ص٢٩٩ .
- ٣٠ . امارتيا صن ، مصدر سابق ، ص١٧-١٨ .
- ٣١ . د. ابراهيم الحيدري ، المحنة في العراق اليوم ، مصدر سابق .
- ٣٢ . د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ، الجزء الاول ، مصدر سابق ، ص٣٠٢ .
- ٣٣ . وليد خالد احمد حسن ، نحن والآخر (جدلية التطويع والمجاهة) ، مجلة النبأ ، العدد ٨٣ ، السنة الثانية عشر ، بغداد ، مركز المستقبل للثقافة والاعلام ، ص٤٦ .
- ٣٤ . سليم مطر ، الذات الجريحة : اشكالات الهوية في العراق والعالم العربي "الشرقمتوسطي" ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٠ ، ص٢٢ .
- ٣٥ . قسطنطين زريق ، ما العمل ؟ حديث الى الاجيال العربية الطالعة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٦٧ .